عين المدينة

نبنيـــها معاً

www.3ayn-almadina.com
facebook.com/3aynAlmadina

في المدينة...
- نشاط دبلوماسي للائتلاف ص2
- امتحانات جامعة الفرات ص6
- سائق الإسعاف الميداني ص7
- حكاية الثورة في منبج ص9
- يوم في مخيم النازحين ص10-11
- آثار الحرب على الأطفال ص12
- سوريا لجميع أبنائها ص15
- العدالة الانتقالية ص16

عين المدينة | العدد (9) | 1 آب 2013

مجلة نصف شهرية مستقلة

عدسة كرم - دير الزور

في الممنوع

لن تتوقف الثورة إلا بالنصر. يؤمن الملايين من السوريين بهذا، وهم على صواب. وعلى صواب أيضاً حين يبدون الكثير أو القليل من التذمّر تجاه أخطاء الثورة والثوار. وهي كثيرةٌ بالفعل. لكنها طبيعية، فلكلّ الثورات الكبرى في التاريخ أخطاءٌ كبرى، ما زالت أخطاء الثورة السورية صغيرة إن قورنت بها. ولهذا علينا أن نتوقف عند ثلاث إشارات بالغة القيمة.

فممنوعٌ أن نسمح للخراب الذي حلّ بالبيوت والعمران أن ينتقل الى القلوب والعقول، ليطرد الأمل والإصرار واليقين أن الثورة، في المجمل والتفصيل، على حق. وأن الطاغية الغرّ المحتضر، وفي المجمل والتفصيل كذلك، على باطل.

وممنوعٌ إهمال النشاط المدني في أعمال الثورة، فالمدن والقرى الكثيرة التي تحرّرت تحتاج إلى إدارةٍ وخدماتٍ وأمنٍ وصحةٍ وقضاء. وتشغيل فرنٍ، ومحطةٍ تنقيةٍ مياهٍ، ومقسم هاتفٍ، وحفظ الأمن في أيّ منطقةٍ، لا يقلّ أهميةً عن حمل السلاح دفاعاً عنها.

وممنوعٌ أخيراً أن ننسى ما أحرزته الثورة من نجاحاتٍ في الحرب والسياسة والإعلام. فعلم الاستقلال الأخضر يرفرف على معظم بوابات الحدود. وتبلغ الأرض المحررة ثلثا الخريطة السورية. ولم يعد بشار الأسد في الثلث الأخير قادراً على التجوال أو الظهور، كما كان يفعل في سنوات استعراضاته الذهبية. ولم يعد نظامه شرعياً إلا عند من يشبهه من الأنظمة. بل أصبح أشبه بزعيم ميليشيا عنيد، صارت وحشيته وحدة قياس!

خطر الحرب الإقليمية... المبرّر الوحيد الذي قد يحفّز الغرب

الجربا بين العواصم... تفاؤلٌ بمواقف جديدة

مقابل توقعاتٍ باستبعاد التدخل العسكري الأمريكي

هيئة التحرير

يبدو من الطبيعي أن تبدأ التحركات السياسية للائتلاف بشكله الجديد (قيادة الجربا) بين عواصم الدول الكبرى، وهو ما سبق أن بدأ به سالفوه، دون أن يسجّلوا تقدماً ملحوظاً، أو حركة سياسية يمكنها تعديل ميزان القوى في الداخل. إلا أن التيار المتفائل في الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، وخارج الائتلاف، يعوّل على تلك التحركات أن تجدي نفعاً على صعيد "الإمداد بالسلاح"، وهي القضية التي ما زالت تشهد انقساماً أوروبياً وانقساماً داخلياً في الولايات المتحدة.

في حضور الجربا "الباريسي"، إلى جانب رئيس أركان الجيش الحرّ، اللواء سليم إدريس، لم يتغير الخطاب كثيراً سوى ببعض الجرعات الأكثر ثقة بالنفس، والأقرب إلى المنطقية في عمل الائتلاف. إذ انطلق الجربا في كافة مساعيه من القول: "إن حماية المدنيين في سورية وإيجاد حل سياسي لن يحصلا باستجداء نظام الأسد، بل عن طريق تغيير موازين القوى على الأرض، بما يسهم في إسقاط النظام والحفاظ على مؤسسات الدولة". وتلخّصت مطالبه في إقناع الدول الغربيّة بلعب دورٍ أكبر لتقديم المساعدات التي تسهم في حقن دماء الشعب السوري، عن طريق تسليح الجيش الحرّ، والحصول على المساعدات الإنسانية اللازمة، وتوفير الدعم المالي واللوجستي للمجالس المحلية في المناطق المحرّرة. بينما حاول الجربا أيضاً شرح احتمال نشوب حربٍ كبرى ذات تبعاتٍ إقليمية واسعة، لعل خوفَ الغرب منها يجدي نفعاً.

ومقابل التفاؤل الذي خرج به رئيس الائتلاف من لقائه مع الرئيس الفرنسي، لم تكن تصريحات الأخير لتتخطى ما صدر عن خارجيته خلال الفترة السابقة. إذ أكّد البيان الصادر عن هولاند على أن فرنسا ستستمر بدعم الائتلاف وجهود هيئة الأركان في قيادة الجيش الحر، وستلتزم بمساعدة الشعب السوري إغاثياً وإنسانياً.

غليون المتفائل

برهان غليون.. عضو الائتلاف الذي رافق الجربا في تحركاته، كان أكثر تفاؤلاً عندما كتب على صفحته في موقع التواصل فيس بوك، تحت عنوان بارقة أمل: "انطباعي عن لقاءاتنا الدولية الأخيرة هو أن هناك إدراكاً متزايداً في العواصم الدولية الرئيسية بضرورة التحرك في اتجاه مساعدة السوريين للخروج من الجمود، بعد مرحلة طويلة وقاسية من التردد والتشكيك بالمعارضة، أو بالقدرة على فعل شيء من دون دفع ثمنٍ غالٍ عسكرياً وسياسياً".

وأكّد غليون أن الأمل كبير، على اعتبار أن التوجه الدولي حالياً لا يتعلق فقط بمصير الشعب السوري وحده، وإنما بمصير القانون والحق والديمقراطية والسلام والعلاقات الدولية والإنسانية في المنطقة والعالم.

محاولة كسب الثقة المصرية

كانت الزيارة الأكثر لفتاً للأنظار هي سفر الجربا ووفد الائتلاف إلى القاهرة، بعد تولّي الجيش المصري قيادة المرحلة الانتقالية. فقد كان لا بد من محاولة استعادة الدعم المصري للمعارضة، وتوضيح الموقف السوري، خاصة بعد مجموعة من الأحداث التي زادت من التوتر تجاه السوريين المقيمين هناك، عقب اتهام بعضهم بالاشتراك في أعمال شغب إلى جانب الإخوان المسلمين، المطالبين بإعادة الرئيس مرسي، المنتخب شرعياً.

إلا أن الموقف المصري لم يتّضح بشكلٍ حاسم بعد زيارة الجربا، فقد بدا أن القيادة الجديدة مشغولة حالياً بتسوية شؤون الداخل. وما زالت تنتظر التوازنات ومواقف الدول الإقليمية الكبرى من الحكم المصري الجديد.

أمريكا وضعف احتمال التدخل العسكري

لم يصدر أي بيانٍ رسمي أو تصريح جديد عن القيادة الأمريكية بخصوص الوضع السوري، إلا أن الموقف الواضح هو استبعاد التدخل العسكري الآن. والسبب الأكثر إعلاناً لذلك حالياً هو أن خطة التدخل، وفق السيناريوهات التي حدّدها قائد الأركان المشتركة للجيش الأمريكي مارتن ديمبسي، مكلفة جداً، إضافة إلى أن العواقب المحتملة كثيرة، وتشير إلى الفوضى بحسب محليين استراتجيين من الولايات المتحدة. وهو ما يرجّح أن زيارة الجربا لأمريكا لم تخرج بأي نتيجة تذكر، رغم التفاؤل الذي أبداه رئيس الائتلاف.

الحرُّ يتقدَّم في دمشق وريفها، ويُدْبِر في حمص، ويفتح الباب لمعركة حلب الكبرى

هيئة التحرير

الحرّ على تخوم العباسيّين

على خلاف الخطاب اليائس حول ضعف فاعلية الجيش السوري الحرّ في محيط دمشق في الفترة الأخيرة، والتنبؤ بسقوط القابون في يد الجيش النظامي بعد حصار أسابيع، جاءت مفاجأة التقدم الواضح الذي أحرزته عدة كتائب مقاتلة في الغوطة الشرقية، فتحوّلت القابون من مرحلة الدفاع إلى الهجوم خلال ثمانٍ وأربعين ساعة، ليستطيع المقاتلون فيها التقدم نحو أتستراد العدوي. بينما استطاعت القوات المتمركزة في جوبر ومحيطها فتح الطريق مع القابون، بمعنى فتح طريق الغوطة الشرقية مع العاصمة، وصولاً إلى تخوم ساحة العباسيين داخل المدينة.

وفي النتائج الميدانية لمختلف العمليات العسكرية في محيط شرق دمشق، نجد أن مجموعة من المناطق الاستراتيجية باتت تحت سيطرة الحرّ، من مؤسسة الكهرباء إلى معمل كراش ومحيط كراجات العباسيين وعدة منشآت تعليمية وأبنية أخرى، إضافة إلى أجزاء من معمل الحلويات. وباتت المعركة الأساسية حول رحبة الدبابات بالقابون، والتي ينبئ تحريرها بتقدم الحرّ نحو ساحة العباسيين والأحياء المجاورة (التجارة، جورج خوري، الغساني)، التي توجّست أصلاً بحدوث ذلك، ونزح الكثير من سكانها.

بينما يبدو تقدّم الحرّ في جبهات المرج وطريق المطار بطيئاً لم يسجل فيه حدثٌ هام، باستثناء السيطرة على المطاحن على أتستراد المطار، والتي تعتبر منطقة استراتيجية تطلّ على الكثير من مراكز القوات النظامية في الجبهة الأشد عنفاً بمحيط العاصمة.

وفي الريف الغربي، لم تفلح الأرتال العسكرية اليومية المتجهة نحو داريا باستعادة السيطرة على شبرٍ جديدٍ من المدينة ومحيطها. بل إن التقدم الذي حققه الحرّ شرق المدينة، بسيطرته على عشرات الأبنية التي تمركزت فيها قوات النظام سابقاً، تم الحفاظ عليه، رغم كل محاولات استعادة السيطرة.

عدسة كرم | خاص عين المدينة

الخالديّة في يد النظام

كان فقدان حي الخالديّة في مدينة حمص المحاصرة منذ أشهر طويلة، بمثابة انكسارٍ نوعي لجبهة حمص، على اعتبار أن هذا الحي يُشغل مساحة كبيرة مطلةً على مختلف أحياء حمص، وستفتح السيطرة عليه الباب لحصارٍ جديدٍ على تلك الأحياء من جهة، وخلق نقاط تمركز جديدة في الحي بمجرد انتهاء الاشتباكات حوله، من جهة أخرى. إلا أن مقاتلي الحرّ ما زالوا عملياً على جبهات الحيّ يحاولون الوصول إلى مسجد خالد بن الوليد، الذي يشكل نقطة مركزية فيه، والذي أعلن النظام انتصاره بمجرد بث قناة المنار، التابعة لميليشيا حزب الله اللبناني، تقريرها من داخله.

جبهات حلب المفتوحة

لم يعد معبر بستان القصر هو الحدث الأهم على الصعيد الحلبي. فالمعبر، الذي كان يشكل نقطة الإمداد الأساسية للمدنيين القاطنين في الأحياء الواقعة تحت سيطرة النظام، بات اليوم جبهة قتالية جديدة، ويقتصر دوره الإمدادي الإغاثي على ساعاتٍ ثلاثٍ يومياً قبل موعد الإفطار الرمضاني، بينما تفتح جبهة القتال خارج هذا التوقيت لتحقيق مكاسب جديدة عل الأرض في جبهة مركز المدينة.

واختلفت مجمل المعادلات العسكرية في حلب وريفها بعد سيطرة الحرّ على قرية خان العسل، التي كانت تعتبر الثقل الجغرافي الأهمّ للنظام في الريف الحلبي، وصمام أمان المناطق الواقعة تحت سيطرته في المدينة. فالمعركة، التي فقد فيها النظام المئات من عناصره، فتحت الباب أمام مواقع جديدة، وأجبرت النظام على دفع تحصيناته خلفاً نحو حيّ الحمدانية وأكاديمية الهندسة العسكرية، ونبّهته إلى الحالة الخلافية في جيشه، التي أنتجت فقدان منطقة بأكملها.

ومن جانب آخر، تبدو المعركة الأكثر حساسيّةً اليوم هي معركة الليرمون وفرع المخابرات الجوية والسيطرة على طريق ريف حلب الشمالي. ففتح هذه الجبهة على مصراعيها سيؤدي إلى تشتيت قوات النظام في عاصمة الشمال. وفي حال انتصار الحر فيها، فمن المرجّح احتمال تحرير المدينة بشكل كامل في الفترة القادمة، والتوجه نحو المطار الدولي وباقي مناطق الريف.

موسم الهجرة الأخير

قيس الرقّي | الطبقة
عدسة أحمد

كانت الطائرةُ قد حلّقت عالياً، والعيون ترقبها ناظرةً، والوجوه غيرُ ناضرةٍ، تعلوها حلكةٌ وبسرٌ وخوفٌ، والقلوبُ تضرب أقفاصها بوجلٍ وهلع. مرَّ الأمرُ بخيرٍ لوهلةٍ عندما غابت الطائرةُ بين السحب البعيدة، فسادَ هدوءٌ حدَسَ بعضُ المراقبين للمشهد أنّه الهدوء الذي يسبق العاصفة، في حين تنفّس بعضهم الصعداء خافضين أبصارهم. وعلى حين غرّة، عادت الطائرة لتشق السماءَ بجسمها الفولاذي، والهدوءَ بصفيرها الذي يشقّ القلبَ، متجاوزةً جدارَ الصوت. التمع منها وَهجَان أحمران. وكانت الوجهة التي لم يخطئانها مدرسة "سد الفرات"، فأحالا جزءاً منها أثراً بعد عين. هُرع الجميع بعدّتهم وعديدهم إلى موقع الانفجار. ولحسن الحظ عادت النقالات الإسعافية خاويةً، فلم تظفر براثنُ الموت بأنسيٍّ. ولكن العدسة كانت بالمرصاد. كان السنونو في الرمق الأخير، يلفظ أنفاسه. احتملته يدٌ على راحة كفّها. كان المشهدُ جنائزياً بامتياز. حتى السنونو نفسه، كأنه أدرك ما حصل قبل حدوثه، فجاء بزيّه الرسمي متشحاً بالسواد؛ تلك البزّة الرسمية التي تعطيك انطباعاً بأنك أمام قائد فرقةٍ موسيقية، سوادٌ يلفُّ الجسدَ وبياضٌ يغطّي الصدر. وما يعزّز ذلك طيرانه في دوائر تشبه إلى حدٍّ كبير حركة يدي المايسترو وهو يوجّه الفرقة، ما يذكّرنا بقول أحد الأدباء العالميين، واصفاً المايسترو وحركته، بأنه رجلٌ جنَّ جنونه يبحث عن شيءٍ فقده. فهل وجد السنونو ضالته؟؟ فانطوت صفحات عمره ذاويةً بين براثن الموت الصفراء.

الحكاية برؤيا مختلفة: طائر الأمير السعيد

كلّما تذكرت ذلك المشهد أعادني إلى الطفولة، والكلام للسيد "أبو حسين"، ونحن جلوسٌ نشخص بأبصارنا إلى شاشة التلفاز، نتابع بأنفاسٍ متلهّفةٍ وعيونٍ مشدودةٍ، الحكاية العالمية الشهيرة للكاتب أوسكار وايلد، والموسومة بعنوان: (الأمير السعيد). وفحواها باقتضاب؛ أنّ طائر سنونو تخلّف عن اللحاق بركب السّرب المهاجر الباحث عن الدفء، لائذاً بتمثالٍ يحتمي منه بالمطر. فتساقطت عليه دموع التمثال، الذي كان يبكي عندما بدأ يشاهد مآسي شعبه، وكانت غائبةً عنه أو مغيّبة، عندما كان في قصره، فطلب من الطائر أن يقتلع من تمثاله الجواهر، وأن يوصلها إلى البيوت البائسة. فظلّ هذا ديدن الطائر ودأبه حتى انتهى به المطاف . وعلى مضض . إلى اقتلاع عيني الأمير (التمثال) بناءً على طلبه، وأرسلها إلى فقير. ولما أنجز مهامّه سقطَ نافقاً عند قدمي التمثال. وفي صبيحة اليوم التالي استفاقت المدينة على ذلك الوضع، وقرّر أهلوها أن يلقوا بالتمثال بعيداً، بعد أن تحول إلى مجرد أحجارٍ مجرّدةٍ من زخرفها وقشورها.

رحيل سنونواتنا بعده

بعد أيام توالت نسيت المشهد، وما أنسانيه إلا عظائم الأمور وجسامها، عندما أسقطت الطائرات سنونوات بشرية لم تتسنَّ لها الهجرة، أو عادت مع أهلها من مواطن النزوح بعد أن ضاقت بهم الأرض على رحابتها، فقد استمرّوا (من المرارة) طعمَ الغربة والبعد وقسوة الظروف. عادوا مرغمين وما درَوا أنَّ الطائرات لهم بالمرصاد.

شاهد وشهيد

بالمصادفة قادتنا الظروف إلى زيارة زميلةٍ إعلامية. وما إن أخذنا مجلسنا في الشرفة حتى هالنا المشهد، وقفنا مبلهين للحظة. كان هناك عشُّ يكتنفه سنونوان اتّخذا من أعلى الشرفة موطناً، فأعاد الموضوع نفسه بقوة إلى حيّز الضوء. رويت لها القصة. ترقرقت دمعةٌ حبيسةٌ في محجريها. بلعت ريقها بصعوبة، وانطلقت متحدثةً على سجيّتها :

كنت موجودةً في ذلك اليوم السعيد المشؤوم. كانت سعادتنا جمّةً لأنّ أحداً لم يصُبْ، بيد أننا صادفنا السنونو في ساحة المدرسة عند عودتنا. هناك، حيث كان الأطفال يلهون ويلعبون ويمرحون في أوقات الفراغ وبين الدروس، يرقد السنونو رقدته الأخيرة. احتملته بيدي. شعرت برجفانه واختلاجه. وربما هُيّأ لي أنّ حزنه يتغلغل في خلاياي، ينسرب بين عروقي، يسري في دمي. خفتُ للحظةٍ أن يكون هذا الطائر هو نفسه الذي يعشّش في شرفتنا. هالني ذلك الهاجس. تصوّرتُ لحظة الحزن والفجيعة التي ستصيب أسرته وهم ينتظرونه يوماً بعد يوم، دون جدوى.

لم تمنعني الإصابة...

سمر شمس الدين

الحرية...!!؟

سبقتكم إليها.

نعم، نلتُها عندما خرجتُ أوّل مرةٍ في صفوف الرافضين للظلم، المتحدّين الثائرين.

كان ذلك بعد استشهاد الشاب محمد ملا عيسى.. ذهبتُ إلى داره أشيّعه إلى جنّته، شأني شأن الكثيرين من أهالي دير الزور. وكان الشهيد ابن صديقتي... وقع الحدث جللٌ أثار في النفوس تحدّياً أكبر ضد هذا النظام الطاغية، الذي لا يميّز في بثّ حقده ودمويته بين طفلٍ وشيخٍ، ولا بين رجلٍ وامرأة.

أقسمتُ، مع الجماهير الغفيرة هناك، أن نكمل المشوار.. مشوار ثورتنا المباركة، حتى إسقاط هذا النظام.

علا صوتي يومها.. صرختُ بملء فمي، وكسرتُ كل الحواجز التي أقامها هذا البائس منذ عقودٍ طويلة.

كنت أطير في الجوّ كالطائر الحر.. لا خوف، لا وجل.. متمرّدةً مع المتمرّدين، ومندسّة في صفوف المندسّين... كما أسمانا النظام البائد.

تكرّر خروجي.. لم يفتني تشييع شهيدٍ ولا اعتصامٌ جماعيٌ.. ولا مظاهرةٌ للحرائر.

أهيئ لثامي.. وأرتب أعلامي وشعاراتي المكتوبة تحت عباءتي.. وأنطلق.

نتجمّع، نحن حرائر دير الزور، على اتفاق مسبق عند أحد مفترقات المدينة، ثم نسير معاً، نصرخ بأصوات جهورية عالية.

نردّد شعارات رفضنا واستنكارنا، وندعو الجميع إلى المشاركة.. يدعمنا أخوتنا الأحرار الثوار عن يميننا وعن شمالنا ومن خلفنا وأمامنا. نقطع الشوارع متكاتفين متضامنين حتى نصل إلى نقطة الاعتصام الأخيرة..

❖ ❖ ❖

ترقّ ملامحها تارةً، وتقسو أخرى.

تلتمع عيناها بالفرح وهي تحدثني، ثم تنظر إلى البعيد..

ستشرق الشمس قريباً.. أقسم إنني أرى الصبح يتمايل هنا.

❖ ❖ ❖

أوشكُ أن أرتمي على قدميها... أمسح عليهما.. أهزّهما كي لا يخذلانها..

كرسيٌ متحركٌ تديره بيديها... ثم توقفه وتستدير ثانية إليّ، متابعةً ما انقطع من حديث.

حينما انقلبت ثورتنا من حراكٍ سلمي إلى مسلح، شكّلتُ ورفيقات كفاحي .ولا زلتُ. فريقاً للدعم بكل أشكاله، نوصل المال والطعام إليهم هناك.. نقوم بتأمين المسعفين والدواء إن اقتضت الحاجة إلى ذلك..

ولم يوقفنا انكشاف أمرنا لدى النظام.. التحقيقات التي حاصرونا بها، المضايقات السمجة والسيئة التي نالتنا.

كنا أكثر تصميماً وثباتاً. أفرغوا المدينة من ساكنيها إلا نحن. أبَيتُ الخروج. يشدّ أزري والدي رحمه الله، وزوجي الذي يقاتل تحت راية جيشنا الحر اليوم (ليحميهم الله وينصرهم)... وعلى الرغم من استهدافي وأسرتي بقذائف متنوعة، واستشهاد أبي وطفلي، وإصابة قدميّ، إلا أنني مازلتُ أواصل ما بدأت، لأن طعم الحرية ألذّ.. لا يمكن أن يسلبوني إياها بعد اليوم.

على هذا الكرسيّ أنتقّل من ساحةٍ إلى أخرى.. لا يعطّلني شيء.. أصل الليل بالنهار راضيةً سعيدةً بما أحقّقه من نتائج على الأرض.

بيتي مقرٌ لعمليات الثوار الدقيقة وتحضيراتهم العسكرية...

وأنا أبحث عن المتضرّرين منهم، ممن هم بحاجةٍ إلى الرعاية والعلاج، لأقدّم الدعم لهم ولأهليهم.

صندوق التبرعات الأهلية عامرٌ، فقد عملنا طويلاً لنستطيع الاستمرار في بذل الجهد حتى تحقيق النصر.

❖ ❖ ❖

تضع يديها على دواليب الكرسي.. تديرها.. تنظر إليّ بعزمٍ مبتسمةً، ثم تستدير وتنطلق.

تقع عيني على المظروف المطويّ على زاوية الطاولة.

أمدّ يدي إليه.

أفتحه... رزمتان من الأوراق النقدية ذات الألف ليرة.

أعيد إغلاقه، ثم أضمّه إلى كومة المظاريف في درج الطاولة، بعد أن أكتب اسمها على الظرف.

تفرّ دمعةٌ حارّةٌ من عيني، تختزل كل الأمل الذي أثاره حضورها هنا... وأتهيّأ للخروج.

الامتحانات الجامعيّة في دير الزور

الطلاب الأحرار لزملائهم في المناطق المحتلّة: لا تذهبوا إلى الامتحان.... يردّ الزملاء: لماذا نضيّع ستة أشهرٍ من مستقبلنا؟

محمد عسكر

كلية الهندسة البترولية | دير الزور

أن يذهب الطالب الجامعي إلى امتحانه، أمرٌ عاديٌ جداً، بشرطٍ لازمٍ ووحيدٍ هو أن تكون الحياة عادية أيضاً. وليس هذا هو الحال في مدينة دير الزور، بجزأيها المحرّر والمحتّل. بعض الطلبة من جامعة الفرات، بكليّاتها المختلفة، ذهبوا إلى امتحاناتهم التي بدأت يوم 15 تموز، بعد أن حُدِّدت كليتا الزراعة والآداب كمركزين للتقديم. وفي محيط، وداخل حرم هاتين الكليّتين، يشاهد المئات من عناصر الأمن، والمئات من الطلاب وآبائهم أو أمهاتهم الذين رافقوهم إلى يومهم المهم هذا. وكالعادة، ومن أي مشهدٍ في سوريا، يثبت النظام أن كلّ ما يقال عن طبعه الهمجيّ الأصيل صحيح، فما الفائدة التي يجنيها من طرد ثلاث أمهات صائماتٍ، رافقن بناتهن إلى الامتحان، من ظل شجرة؟ وهل أثبت لهنّ أنه نظامٌ قوي؟

في حرم كلية الزراعة يتمازج عناصر الأمن فيما بينهم. وبالعدّة الحربيّة الكاملة، من بنادق ومسدساتٍ وجعب؛ يتمشّى هؤلاء باطمئنانٍ في أروقة المبنى. للحظةٍ يظنّ المرء نفسه في سجن، وأن هؤلاء الطلبة معتقلون أنيقون.

وبجانب المدخل الرئيسي يقف شابٌ مسلّحٌ ذو لحية كثيفة، يرتدي بنطالاً عسكرياً مموهاً، وجعبة ذخيرة على صدره، فوق قميص أبيض بدون أكمام، ليكشف عن ذراعين عضليين مناسبين تماماً لوشم لوجه ماهر الأسد على ذراعه اليمنى، ولطائرٍ جارح على اليسرى. إنه فاطر، هكذا ناداه أحد الطلبة المتملّقين وهو يحييه بامتنانٍ، وبامتياز أنه يعرف الاسم.

تمرّ ثلاث طالبات مسرعات. يشعل فاطر سيجارة وهو يرمق أكثرهن ملاحة بنظرة فاسقة. يُسمع صوت إطلاق نارٍ من مكانٍ قريب. لا أحد يهتمّ، لا الطالبات الثلاث ولا الطالب المتملق ولا فاطر. وتُسمع أيضاً أصواتٌ قريبة وبعيدة لقذائف المدفعية وراجمة الصواريخ، تنطلق من اللواء 137 أو المطار العسكري أو من أي نقطة عسكرية لجيش الأسد.

يفسّر الطالب س، وهو شابٌ نحيفٌ يضع نظارة طبية، عدم الاهتمام بإطلاق النار، بأنهم اعتادوا على ذلك، فهي زخّة رصاصٍ استعراضيةٍ أطلقها عنصر أمن. يشعر س بتأنيب الضمير في بعض الأوقات، ويرى في تقديمه للامتحان سلوكاً أنانياً، فهو يطبّع العلاقة مع النظام المجرم الذي قتل المئات من الطلبة. ولكن س يسأل: ماذا عليّ أن أفعل؟ أقاطع الجامعة، وأقدّم تضحية لن يستفيد منها أحد؟!

نعرض أحوال الطالب س على شادي، وهو طالب هندسة سابق، يقيم في حي الحميدية المحرر، حيث يقارن الناس دوماً بين عهدين؛ عهد الحرية والمعاناة والحرب، وعهد النظام البائد، كما يصفون نظام الأسد.

يقول شادي: لست نادماً على تركي لدراستي، لكنني بصراحةٍ أشعر بالحقد أحياناً على الطلاب الذين تابعوا حياتهم الجامعية. أنشط هنا في الإعلام، وأساعد في كل شيء. وقد أستشهد في أية لحظة. وسيحظى أولئك الذين يقدمون امتحاناتهم، وينافقون لعناصر الأمن الأوغاد، بالحريّة في يومٍ ما بعد سقوط بشار. لم يخسروا أي شيءٍ، وخسرنا نحن كل شيء. أتمنى أن تعوّضني الحكومة التي ستأتي بعد بشار؛ أنا. إن بقيت حياً. وأمثالي من الطلبة، بطريقةٍ ما. لا أعرف كيف سيكون ذلك. إنها مهمتها الأولى.

يضحك شادي ويتابع أنه يسمع عن زملاءٍ سابقين يحيَون بشكلٍ طبيعي جداً، رغم وجود جنود الأسد المجرمين بينهم. والأنكى من هذا أنهم يقدّمون امتحاناتهم في كلية الزراعة، قريباً من مصادر النيران والموت التي تتساقط علينا، هنا في الأحياء المحرّرة. بماذا يشعر زملائي الأعزاء عندما تُطلق قذائف المدفعية من جوارهم؟ هل يتركون القلم للحظةٍ ويسألون أنفسهم على رأس من ستسقط هذه القذيفة؟ إنهم ينتهزون فرصة الفوضى والتسيّب في قاعات الامتحان، الناجمة عن هذه الحرب التي تشنّ بلا هوادةٍ علينا.

الـــرجـل الـــذي نســـي بيتـــهُ... وتـفـرّغ لإنـقـاذ حـيـاة الـــجـرحى

لم ينـم خالـد الحميـدي، سـائق سـيارة الإسـعاف في مشـفى موحسـن الميداني، في بيتـه منـذ ٣٨٠ يومـاً.. ولا يبدو أنه سينام فيه قريباً.

مراد أيوب

فوظيفتـه المرهقـة والخطـرة، لم تترك له وقتاً كافياً للنوم في فراش عادي في منزلـه. ولا يستطيع أصلاً أن ينام بعيداً عن سيارته، ففي كل لحظةٍ هناك احتمال أن يسقط جريح. ومن حسن حظ الجرحى أن خالداً، ورغم تجاوزه للثلاثين من العمر، ما يزال أعزب، مما يعني وقتاً أكبر يقضيه في عمله؛ أربعاً وعشرين ساعةً من اليوم، وسبعة أيام من الأسبوع.

يشعر خالد بالسعادة رغم المخاطرة والتعب، كما يقول، لأنه يسهم بإنقاذ حياة الناس. وهو يشعر بقلق عندما يسمع أنّات الجرحى ويعجز عن فعل شيءٍ لهم، سوى أن يقبض بقوةٍ أكبر على المقود بكلتا يديه، ويضغط على الآخر بقدمه على دعّاسة البنزين، لتسرع السيارة أكثر، ويصل بجريحه إلى المشفى في وقت أقل.

قبل الثورة، كان خالد سائق شاحنة ثقيلة في قطر. ومع اندلاعها ترك وظيفته التي تدرّ عليه دخلاً جيداً، وعاد إلى مدينته موحسن، في ريف دير الزور، ليكون في صفوف الثوار. وسرعان ما أصبح مطلوباً لأجهزة الأمن، مما يعني حرمانه من إمكانية السفر، ليكتمل بذلك دافعه الشخصي للبقاء والانخراط في أعمال للثورة بشكل أكبر، من المظاهرات السلميّة، إلى تأمين احتياجات مقاتلي الجيش الحر، وغيرها من الأنشطة. ليجد نفسه أخيراً يقود سيارة الإسعاف، من مواقع القصف، أو خطوط الجبهة والمعارك، إلى المشفى الميداني، التي تعتبر، عن جدارةٍ، واحدةً من أهم المشافي الميدانية في سوريا المحرّرة والمحاصرة، نظراً لآلاف الإصابات التي استقبلتها منذ تأسيسها وحتى اليوم، في ظروف عملٍ يقال عنها بارتياح إنها مستحيلة. وبدون تلطّف زائدٍ أيضاً، يقول المنصف لكل عاملٍ في فريقها الطبي: أنت بطل، لأنك تعمل

عدسة عمر

منذ سنة كاملة، وتحت القصف اليومي، وبدون أجر. وفي مراتٍ كثيرةٍ وأنت جائعٌ ومرهق، ولم تنم ليلة أمس. وحتماً سيكون خالد بين هؤلاء الابطال.

فالمشفى التي تشكل هدفاً مفضّلاً لمدفعية بشار الأسد وطائراته في دير الزور، لا تحظى بما تحتاجه من عنايةٍ أو اهتمامٍ من المنظمات الطبية ذات الصلة.

ولا يبالي سائق سيارة الإسعاف، أو أيٌّ من رفاقه، بتلك المنظمات. ولا يهتم كثيراً بأخبار المصاريف الفاحشة التي ينفقها العاملون في هيئات المعارضة السورية ومؤسساتها في الخارج. فهو لا يريد من هؤلاء سوى تأمين احتياجات المشفى، وملء خزان سيارته بالوقود، همَّه الرئيسي الذي يقلّ ويندر في بعض الأيام، مما يعني. وبكل بساطة. أن تهدد حياة مصاب ربما يعيش إن أسرعت سيارة الإسعاف إليه.

أسعف خالد الحميدي كثيراً من الثوار. استشهد بعضهم على الطريق ونجا الكثير منهم. وكذلك أسعف كثيراً من جنود الأسد الذين يقعون في الأسر بعد إصابتهم. هؤلاء أنفسهم الذين لم يكونوا ليتركوا خالداً وشأنه لو وقعت سيارته البيضاء في مرمى قناصاتهم. وفي مرةٍ. كما يروي. كان الأسير الجريح بمفرده على السرير في الحوض الخلفي للسيارة. وكان خالد يقود مسرعاً كعادته، متوجهاً إلى المشفى، ليسمع ضرباتٍ على النافذة من خلفه. كان الجريح يحاول أن يتحدث معه. سأله: أين أنا؟ مع الأمن العسكري، مازحه خالد. فعرض الأسير عليه رشوةً ليتركه يهرب. فزجره خالد وهدّده أنه سيخبر "المعلم" بمحاولته هذه، مما دفع الجندي إلى المزيد من البكاء والتوسل، ليطمئنه خالد أنه يمزح، فهو الآن بين الثوار، وفي طريقه إلى المشفى ليعالج هناك من إصابته، بعد أن تركه رفاقه من جنود الأسد ولاذوا بالفرار.

لسائق سيارة الاسعاف في مشفى موحسن الميداني أمنيتان: أن يسقط بشار الأسد، وأن يعالج جميع الجرحى ولو استمر علاجهم لسنوات.

فرص العمل الجديدة؟

عمر ظافر

حملت الثورة السورية على عاتقها تحقيق أحلام وطموحات الشعب السوري بكافة شرائحه. ولعلّ أكبر الحالمين كان الشباب العاطل عن العمل، فكان من أوائل الملتحقين بركب الثورة. واليوم، مع دخول الثورة مراحلها الأخيرة، باتساع رقعة المناطق المحررة وعودة الحياة إلى أغلبها، وخصوصاً في محافظة دير الزور؛ يعيش الشباب العاطل أزمةً جديدةً، ألا وهي ازدياد نسبة البطالة، وقلّة فرص العمل، وتحوّل قسمٍ كبيرٍ من العمال إلى عاطلين جددٍ عن العمل.

العمالة والبطالة قبل الثورة

لم يكن العامل السوري في أفضل أحواله قبل الثورة، بل كان يعيش على وقع اهتزاز الاقتصاد الوطني المتذبذب، الذي لم يعرف انتعاشاً ملحوظاً على مر العقدين الأخيرين، بسبب النظام وما فعله باقتصاد البلاد من نهب للثروات، وترسيخ سياسة التجويع، وتسلّط المسؤولين على الاقتصاد، واحتكار الاستثمار ضمن عائلتي الأسد ومخلوف ومن يواليهما.

وفي دير الزور كان لتحطيم أرقام ومعدّلات البطالة والعمالة والاستثمار قصة طويلة، فقد شهدت المحافظة أعلى نسبة بطالة في سوريا، إذ حوت 24.4% من نسبة العاطلين عن العمل في البلاد. كما عرفت أدنى نسبة أجور، وأقلّ نسبة تنمية اقتصادية، رغم ما تحويه من ثروات باطنية وزراعية، ومؤهلاتٍ جيدةٍ للاستثمارات والمشاريع الكبرى والمتوسطة.

البطالة والثوار

مع انطلاقة الثورة انخرط أغلب شباب دير الزور فيها، فمنهم من ترك عمله، ومنهم من فصل من وظيفته بسبب نشاطه الثوري، مما أدّى إلى ارتفاع نسبة البطالة.

محمود، مقاتلٌ في الجيش الحر، كان قبل بداية عمليات التحرير في المحافظة يشارك رفاقه في الهجوم على المواقع والحواجز العسكرية ليلاً، ليذهب نهاراً إلى وظيفته. لكنه فصل اليوم من عمله بسبب انكشاف أمره، لتبقى عائلته من دون دخل.

خصص قائد الكتيبة راتباً شهرياً لمحمود وأمثاله، ليسدّوا احتياجات عوائلهم. لكن الراتب لم يكفِ، فلجأ محمود إلى العمل في أوقات راحته، ببيع الحلويات الشعبيّة في المناطق المحرّرة.

ولا يختلف حال محمود عن حال باسل، خريج كلية الاقتصاد، والعامل سابقاً في إحدى المصارف الخاصة، التي أعلنت عن إقفال فروعها في المناطق المحرّرة، وصرف عمالها، فأصبح باسل وغيره عاطلين عن العمل، مما اضطره لأن يكون شريكاً لمحمود في بيع الحلويات.

الثورة وفرص العمل

خلقت الثورة بعض فرص العمل المرتبطة بمجالات الطبابة والإغاثة والتسليح والإدارة المؤقتة للمناطق المحرّرة. فالمنظمات الإغاثية الدولية والعربية والمحلية وفّرت فرص عملٍ في نقل المساعدات وتوزيعها وعمليات الإحصاء والإشراف على التوزيع.

أما المجالس المحلية فتسعى جاهدةً لإيجاد فرص عمل، ولكن ضعف الإمكانات المالية يمنعها. فيما ظلّت وعود الاستثمارات، من قبل الائتلاف والدول المانحة، للمجالس المحلية في المناطق المحررة، دون تنفيذ.

أبو محمد، أحد موظفي شركة الكهرباء في دير الزور، تمّ فصله من عمله بسبب موقفه المؤيّد للثورة. وأعاده المجلس المحلي إلى عمله، وخصّص له مرتباً شهرياً يساوي السابق. تحدث لـ"عين المدينة" قائلاً: "ضاقت بي السبل بعد فصلي من عملي. ولم أعد أعرف ماذا أفعل، فأنا أبٌ لخمسة أطفال، وليس لديّ أي موردٍ آخر لإعالتهم. ولكن اليوم، بعد إعادتي إلى العمل من قبل المجلس المحلي، أصبحت أكثر نشاطاً وسعياً لإصلاح ما أفسده النظام. وحتى لو تمت إعادتي إلى العمل من قبل النظام فلن أعود".

أما سليم، فهو شابٌ عاطلٌ عن العمل، وجد في التكرير العشوائي للنفط عملاً مربحاً يعوّضه عن سنين البطالة. لكن، عندما سألناه عن شرعية وقانونية العمل

عدسة كرم | خاص عين المدينة

الذي يقوم به، أجابنا قائلاً: "وفّروا لي أيّ عملٍ آخر يساعدني على أن أعيل أسرتي.. وسأترك فوراً".

حوّلنا إجابة سليم إلى استفسارٍ طرحناه على أحد الخبراء الاقتصاديين، الذي قال: "يمكن القضاء على هذه المشكلة بإدخال مصافي النفط الحديثة، وتشغيل من كانوا يعملون بالتكرير العشوائي فيها. وبذلك نقضي على تلك الحالة. ولكن هذه الخطة تحتاج إلى إرادةٍ موحدة لدى القائمين على الآبار والحقول النفطية، لكي يمتنعوا عن بيع النفط الخام عشوائياً".

وتبقى إعادة الإعمار هي الحل الأمثل للقضاء على البطالة. فالدراسات الاقتصادية تشير إلى أن هذه العمليّة ستتطلب عدة سنين، وتحتاج خبراتٍ وأيادٍ عاملة كثيرة. ولا شك في أن الشباب السوري سيكون منتظراً لهذه الفرصة، لا لتغيير حياته وحسب، بل لإعادة هذا البلد كما كان، والنهوض به.

حكاية الثورة في منبج

شعبان الحسن

عدسة عبد الله | خاص عين المدينة

اشتهرت منبج بأنها مدينة الشعراء، إذ قطن فيها كلٌ من أبو فراس الحمداني، وأبو الطيب المتنبي، ودوقلة المنبجي، وعمر أبو ريشة، وغيرهم.

تقع المدينة شمال شرق حلب بـ 80 كيلو متراً. ويبلغ عدد سكانها، مع القرى المجاورة لها، حوالي خمسمئة ألف نسمة. ومع اندلاع الشرارة الأولى للثورة السورية التحقت مدينة منبج بالركب، فخرج أبناؤها في أولى مظاهراتهم بتاريخ 2011\4\21. ثم كان الاعتصام الذي حدث في ساحة الشهداء خطوة هامة في مسار الثورة في المدينة، التي بقيت رازحة تحت بطش النظام إلى أن قرر أبناؤها في الجيش الحر تحريرها من العصابات الفاشية بتاريخ 2012\7\19، المصادف قبل يوم من شهر رمضان.

وما إن تحررت المدينة حتى بدأ أبناؤها بتشكيل المجلس المحلي الثوري، الذي يعتبر الشكل المصغّر لحكومةٍ محلّيّة. ومرّت على منبج ثلاثة مجالس محلية، وتأسس فيها أكثر من 20 هيئة مدنية، منها خدمية أو فكرية أو سياسية أو إسلامية، بالإضافة إلى الجمعيات الإغاثية، التي فاق عددها 17 جمعية، نظراً لارتفاع أعداد النازحين، الذين بلغ عددهم حالياً 150 ألف نازح من كافة المدن السورية التي تشهد اشتباكات ومعارك. إذ كان لمنبج النصيب الأكبر من المدن السورية في استضافة الأهالي النازحين.

يتحدث (ت. ص)، وهو عضو أمانة سر في المجلس الثوري المحلي، عن المصاعب والمشاكل التي واجهت المجلس، الذي ولد ولادة قيصرية صعبة، على أنقاض المجلسين السابقين. فمعاناة المجلس المحلي تتجسد في الارتفاع الجنوني للدولار، مما سبّب ارتفاع الأسعار بشكل واسع، وأثّر على جيب المواطن البسيط في النهاية. كما يعاني المجلس أيضاً في إدارة المؤسسات الخدمية (المحاكم، الكهرباء، المياه، المطاحن، الأعلاف). والصعوبة الأكبر التي تواجه المجلس حالياً هي تأمين مادة القمح، التي يحاول المجلس جاهداً توفيرها بشتى الوسائل، رغم ضعف الإمكانيات حالياً. أما بالنسبة إلى الدعم المالي فيتم تقديمه من مجلس المحافظة الحرة في حلب، التي تتبع لها إدارياً المجالس المحلية في الريف الحلبي بشكلٍ كامل، ومن ضمنها مجلس مدينة منبج.

يقول أبو شاكر، وهو أحد القادة الميدانيين في الجيش الحر بمنبج: كنا نعاني كثيراً قبل تحرير المدينة بالنسبة إلى موضوع تأمين السلاح والذخيرة. والحمد لله شاركنا في أغلب المعارك في المناطق المجاورة للمدينة، مثل سد تشرين، وجرابلس، وأحياء صلاح الدين وبستان الباشا وبستان القصر والراشدين في حلب، وخان العسل مؤخراً. ولم نتوانَ عن المشاركة في معركة القصير. ولدى سؤالنا لأبو شاكر عن موقفٍ طريفٍ في مسيرته الثورية، أجاب: لدى تأميننا السلاح قبل تحرير المدينة، من ريف حلب الشمالي، كنا نخبّئ السلاح في مكانٍ آمن، ومن ثم اكتشفنا أنه "استرطب" لسوء تخزينه (يضحك). أما مهنتي قبل الثورة فقد كان لديّ محلٌ لبيع النظارات الشمسية.

كما التقينا مع (فراس)، وهو أحد الناشطين الميدانيين في مدينة منبج الحرّة، فحدّثنا عن مشاعره وأمنياته للمستقبل قائلاً: أتمنى من صميم قلبي أن تحظى كل المدن السورية بما حظيت به منبج من توفير المناخ الملائم لممارسة الحريات. وأنتظر بفارغ الصبر تشكيل الحكومة الانتقالية لترتيب أمور المواطنين في الداخل من جديد. أما عن زملائنا الجامعيين فهناك كلامٌ أتمنى أن يتحقق، وهو إحداث جامعاتٍ في المناطق المحرّرة، كي يكمل الطلبة دراستهم.

استهدفت منبج بأكثر من 20 غارة جوية، فاقت حصيلة شهدائها 120 شهيداً. أما حصيلة شهداء المعارك فقد فاقت 150 شهيداً، بالإضافة إلى الأعداد الكبيرة من الجرحى، إذ تعرّض أغلب المجاهدين لإصابات بليغة، جعلت بعضهم قعيداً في البيت.

عشرات الآلاف من النازحين السوريين إلى مخيم سليمان شاه في أورفة يتمنّون من شدة الحرّ أن يأتي الشتاء باكراً

هيثم السعيد

في مخيم سليمان شاه | خاص عين المدينة

ليس من السهل على أي إنسانٍ أن يترك بيته وبلده ويذهب ليسكن في خيمة في دولةٍ أخرى، ولكن هذا ما فعله أكثر من 25 ألف سوري، مضطرين. هربوا من الموت في مدنهم وقراهم إلى مخيم سليمان شاه جنوب ولاية أورفة التركية.

في أرضٍ منبسطةٍ، وعلى مساحاتٍ شاسعة تقارب مساحة بلدة آقجقلة القريبة، أقيم المخيم، وبعدد سكان يقترب من عدد سكان هذه البلدة التركية، الذين يتكلمون اللغة العربية بلهجةٍ حافظت على مفرداتٍ اندثرت في لهجات الفرات والجزيرة السورية.

يتألف المخيم من عشرة أحياء، يحتوي كلٌ منها على 500 خيمة أو 500 عائلة. فلكل عائلةٍ خيمة، ولكل عائلةٍ أيضاً منزلٌ سابقٌ وقصة نزوح وقائمة هموم. يشكو الجميع من ارتفاع درجة الحرارة ورداءة الطعام المقدّم من إدارة المخيم، التي تحاول، من جهتها، بذل ما تستطيع لتلبية احتياجات النازحين، أو الضيوف، كما كتب باللغة العربية على اللوحة المعلقة على بوابة المخيم الرئيسية.

نازحون عمال

قبيل الغروب يصطفُّ طابورٌ طويلٌ من الرجال على باب الدخول، يحمل أغلبهم كيس خضارٍ أو أطعمة خفيفة. إنهم عمالٌ، وهذه الأكياس مشتراةٌ بعد يوم طويلٍ كدحوا فيه ليحصلوا على أجرةٍ يوميةٍ تُحوّل فوراً إلى هذه البضائع التي يحرص الحراس الأتراك على تفتيشها.

يعمل معظم هؤلاء في أعمال البناء بأجور يومية تبدأ من 15 ليرة تركية وتنتهي عند 50 ليرة للعمال الأكثر خبرةً ومهارةً وحظاً.

أبو علي (33 عاماً) نازحٌ من أرض الحمرة قرب مساكن هنانو في حلب. يعمل هو الآخر في مقهى ببلدة آقجقلة القريبة. أجرته اليومية 15 ليرة، يضاف إليها 15 أخرى هي أجرة شقيقته التي تصنع الشاي في المقهى نفسه. 30 ليرة مبلغٌ يؤمّن الكثير من اللوازم التي تحتاجها عائلة أبو علي المؤلفة من زوجة وثلاثة أطفال، يضاف إليهم والده العجوز وشقيقته وأسرة أخيه المؤلفة من زوجة وطفلة صغيرة اسمها رغداء. لم تحظَ رغداء، ذات الأشهر الخمسة، بأيّ حياةٍ رغيدة. يسأل أبو علي إن كان بيننا طبيبٌ ليشرح له سبب السعال الذي يكاد يخنق رغداء كل ليلة، ولم يتمكن الأطباء الأتراك من علاجه.

هنالك طبقتان في المخيم: طبقة أولى تتألف من مجموع العوائل التي تمكن أحد أفرادها من العثور على عمل، مما يعني وضعاً معيشياً أفضل من وضع الطبقة الثانية، التي لا يعمل أيٌّ من أفرادها.

قبل الإفطار

قبل ساعةٍ من الإفطار، تزدهر حركة البيع والشراء في السوق المرتجل بشارع المخيم الرئيسي. كثيرٌ من البضائع الخفيفة معروضةٌ للبيع، وبالليرة السورية. خضار ومعلبات وسجائر ولوازم مطبخ، تمتدّ على بسطاتٍ خشبيةٍ على الأرض.

لقد انقضى نهارٌ طويلٌ من الحرّ والصيام الشاق، وتوقف السكان عن ملاحقة الظلال في فسحات المخيم هرباً من الخيم الملتهبة. وزّعت إدارة المخيم مراوح كهربائية تحرّك الهواء الساخن فقط داخل الخيمة، مما يجبر الكثيرين على الخروج إلى الهنغارات الكبيرة المكيّفة، التي أعدّت لتكون حلاً لمشكلة الحرارة، أو الاختباء في ظل يتشكل بين خيمتين. ومن حفرة بجانب باب الخيمة تُخرج أم عدنان (نازحة أربعينية من ريف حلب) حباتٍ من الخضار لتعدّ طبقاً من السلطة لوجبة الإفطار. في هذه الحفرة تحفظ أم عدنان الخضار، بدفنها مع قوالب من الثلج القادم من خارج المخيم بطرق شتى، إذ يشاهد المئات من السوريين وقت العصر يطرقون أبواب البيوت في "أقجقلة"، سائلين عن الثلج.

تحاول أم عدنان، دون جدوى، الاستفادة من الفاصولياء المطبوخة التي قدّمتها إدارة المخيم، بتحويلها إلى شيءٍ قابل للأكل. لكن الحرّ الشديد أفسدها، مما دفع أم عدنان إلى تجاوز محاولتها تلك. وستتناول أسرتها وجبة إفطارٍ مؤلفةٍ من شرائح البطاطا المقلية وسلطة الخضار واللبن. لا يبدو زوجها متذمّراً كما تذمّر الأطفال، بل راح يتمشّى قريباً من الخيمة بانتظار أذان المغرب، ينظر إلى الشمس الآخذة بالغروب، وينظر إلى أصغر أطفاله وهو يحبو بسرعةٍ متفلتاً من رقابة الأم.

أمنيةٌ شائعةٌ لأبو علي

عودةٌ إلى أبو علي، عامل المقهى الذي كان موظفاً عادياً في مصنع غذائيات في حلب، والذي تظاهر أربع مرات فقط، بعد شهرين من اندلاع الثورة. والذي يلخّص قصة نزوحه القصيرة هكذا: قبل ستة أشهر من الآن، كنا في زيارة إلى حيّ الصاخور، وسمعنا من هناك صوت انفجارٍ هائل. إنه صاروخ سكود ضرب منطقتنا. أسرعنا بالعودة لنجد ثلاث حاراتٍ في أرض الحمرة وقد سويّت بيوتها بالأرض. كان الناس يخرجون الأشلاء من تحت أنقاض البيوت، وواحدٌ من هذه البيوت المدمّرة كان بيتنا. لقد نجونا يومذاك. وقلت في نفسي: حان وقت الرحيل، ولن أعود إلا بعد ان يرحل هذا المجرم. وسيرحل حتماً في يوم ما. وسنعود إلى بلادنا. ولا يهمني إن نمت مع أسرتي تحت شجرة.

سوريا: الوضع الانساني (١١ يوليوا تموز ٢٠١٣)

OCHA

٦,٨ مليون
شخص بحاجة للمساعدات

المحافظات السورية بحسب عدد النازحين

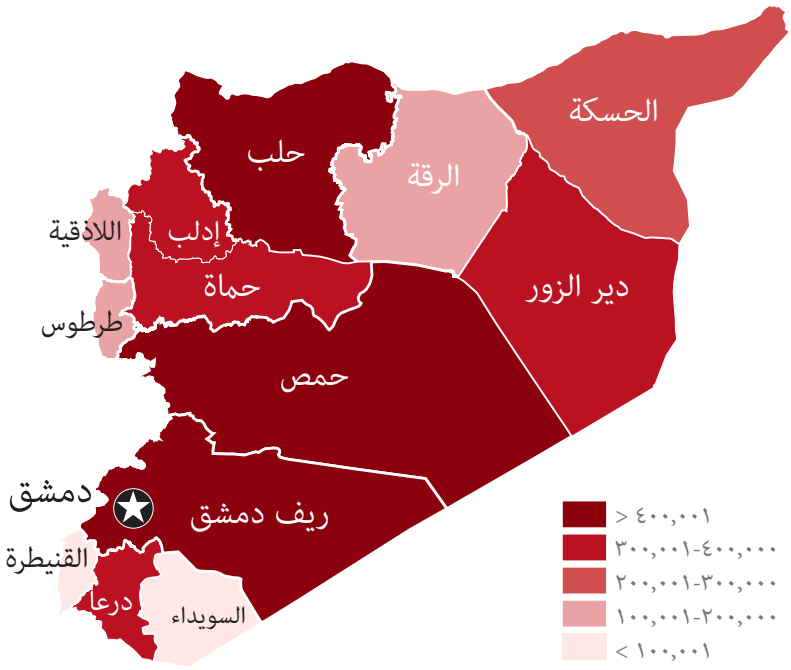

٤,٢٥ مليون
نازح داخلي

٦,٨ مليون
عدد المتضررين

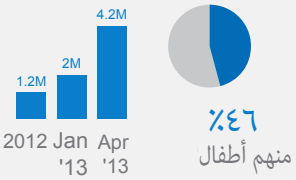

٤٦٪
منهم أطفال

٩٢,٩٠١ قتلوا
من مارس/آذار ٢٠١١
حتى إبريل/نيسان ٢٠١٣

٤ مليون
شخص بحاجة لمساعدة عاجلة للغذاء

١٧٣,٦٢٦
نازح داخلي في

٨٥٤
مأوى جماعي

آثار الحرب على نفوسِ أطفالنا

مستقبلٌ غائمٌ يلفُّ جيلاً لم يعهد الكوارث من قبل

نور عبد الكريم

تقترب الحرب السورية من إكمال عامها الثالث، بعنفٍ لم يُعرف له مثيلٌ في شدّة تدميره وعبثيته، التي يدفع الشعب السوري ثمنها من دمه وروحه وحاضره ومستقبله.

وفي الحرب يستنفد المرء كل طاقاته في تفادي المخاطر والبقاء على قيد الحياة. فمن الناس من يعبّر عن حالة الصدمة مباشرةً بالقلق والأرق والبكاء، ومنهم من يعتمد آلية دفاعية هي التأجيل، ليعيش الصدمة بعد حين. وتختلف آثار الصدمة النفسية الناجمة عن الحرب وفقاً لفئتين من الأشخاص؛ تشمل الأولى منهما الأشخاص الذين عاشوا حروباً سابقة، ومازالوا يحتفظون بالذكريات الموجعة، أما الثانية فتضم الجيل الجديد، الذي يتعرّض لصدمة الحرب لأول مرة، ومنهم الأطفال.

ويقول أحد صيادلة دير الزور: كثر الطلب على أدوية كنا بالكاد نبيعها قبل أن تقوم الثورة.. وهي العقاقير المهدئة والأدوية التي يتناولها المرضى النفسيون. والمشكلة الكبرى أن أكثر الوصفات التي نقوم بصرفها هي لأطفال دون سن الرابعة عشرة...

ونستطيع تمييز الأعراض الناتجة عن تبعات الكوارث والحرب على الأطفال والمراهقين، إذ تتخذ عدة أشكالٍ، من بينها الحركة الزائدة، والقلق الحاد، والانحلال الجسدي، والكوابيس الليلية، والهلوسات الناتجة عن استعادة مخاوف النهار أثناء النوم.

الآثار السلوكية للقلق:

عندما يصاب الأطفال بالقلق نتيجة صدمات الكوارث والأزمات، ينعكس ذلك على سلوكهم بمجموعةٍ من الآثار السلوكية، التي تتمثل في:

1- التمرّد: إذ يصرّ الطفل على تنفيذ ما يريد، خارجاً عن تعليمات الكبار وقوانينهم.

2- زيادة الحركة: كتنقّل الطفل من مكانٍ إلى آخر، وعدم استقراره في مكانٍ واحد.

3- قضم الأظافر: ونشاهد هذه الظاهرة حتى عند اليافعين.

4- العدوانية: تزيد الأزمة والحرب من إحباطات الطفل، فيولّد العنف الخارجي الواقع عليه عنفاً داخلياً، يترجمه سلوكاً عدوانياً تجاه نفسه والآخرين.

عدسة إحسان | خاص عين المدينة

اضطرابات النوم عند الأطفال:

يحدث في الثلث الأول من الليل، حين يستيقظ الطفل صارخاً باكياً هلعاً خائفاً. وتصاحب ذلك سرعةٌ في دقات القلب، وجحوظٌ في العينين، وارتجاف الأطراف، وتصبّب العرق.

الاكتئاب: عند مشاهدة الأطفال لأهوال الدمار والموت، وصرخات ذويهم وجيرانهم واستنجادهم، وفي حال مشاهدة الطفل لحالات وفاة مروعة لأشخاص مقرّبين منه، أو جثثٍ مشوهة، أو حالة عجزٍ لدى مصادر القوة بالنسبة إليه، مثل الأب والأم؛ يصاب بصدمةٍ عصبيةٍ قد تؤثر على قدراته العقلية.

ويدخله تكرار ذلك في حالة اكتئابٍ وانطواءٍ نفسي تتخللها عدوانيّةٌ وحقدٌ غير موجهين. وتظهر الأعراض على شكل مزاجٍ مكتئب، وحزنٍ ظاهر، وشعورٍ بالفراغ، ومَيلٍ للانعزال، وفقدان الشهية والوزن.

آلية التعامل مع الطفل في ظل هذه الانعكاسات:

توفير أجواء الأمان للأطفال، وإعادة ترسيخ الشعور بالحماية والأمن، من خلال إقامتهم في مكانٍ بعيدٍ عن الخطر والتهديد.. وتشجيعهم على مواصلة نشاطاتهم الاعتيادية أو خلق بدائل لها، ومساعدتهم في فهم انطباعاتهم وردود أفعالهم تجاه المواقف الصادمة، والتحدث معهم عمّا يخيفهم، وتكليفهم بأنشطةٍ بدنيةٍ وألعابٍ وأغاني وورشات رسم، للتخفيف من حدّة التوتر والضغط النفسي، وتكليفهم بأعمالٍ ومهام صغيرة لتقوية إحساسهم بكفاءتهم، وتقديم الإرشاد النفسي للطفل المعرّض للصدمة.

الطفل بحاجة إلى الشعور بحب وحنان من حوله، وخاصة المقربين منه. وأي محاولةٍ لعلاج المشكلة بشكل ظاهري دون الدخول إلى الجوهر ستفشل، وتزداد حالة الطفل سوءاً.

وفي الختام نقول:

لا يمكن لأية تدابير أن تمحو الصدمة من النفوس بشكلٍ نهائي، ولكن بعض الإجراءات قد تساعد على الخروج منها بأقل ضررٍ ممكن. ويبقى أن نقول: إن تماسك الأهل ضروريٌ جداً أثناء الحروب، لأن الوالدين هما مثال القوة في نظر الطفل، فإن ظهرا بحالةٍ من الضعف والاضطراب فإنهما يحطّمان الصورة التي رسمها لهما الطفل في مخيلته، مما يعزّز لديه الغوص في أزمته النفسية، ويدفعه إلى الانطواء، ويقلل من فرص نجاته وشفائه.

السيطرة الغامضة:
استيلاء الأسد على المجال السوريّ العام

محمد عثمان

يدرس هذا الكتاب طريقة توظيف النظام السوري للتماثيل والصور والرموز والعُروض والخطاب البلاغي والشعارات الرسميّة، كآلياتٍ للسيطرة على المجتمع والتحكّم بأفراده، وتمجيد «القائد»، وصولاً إلى تقديسه. وقد أعدّته مؤلفته، ليزا وادين، كأطروحةٍ للحصول على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، ثم نشرته جامعة شيكاغو، عام 1999. ومن هنا فإنه يتناول مرحلة حكم حافظ الأسد، إلا أن الآليات نفسها قد استمرّت. تقريباً. أيّام ولده بشّار، الذي بدأ عهده بتخفيف هذه المظاهر التبجيليّة المغالية، لأشهرٍ قليلة، ما لبثت أن عادت بعدها، واستمرّت بوتيرةٍ مطّردة حتى وصلت إلى مظاهر العبادة الراهنة.

وتتناول الباحثة متطلبات الرياء العام التي فرضها النظام على المواطنين العاديّين في حياتهم اليوميّة، من ترديد الشعارات خلال البرامج والمهرجانات شبه الإلزاميّة التي تجريها «المنظّمات الشعبية»، كالطلائع والشبيبة واتحاد طلبة سورية واتحاد العمال... إلخ، إلى المسيرات التي تُلزم المؤسسات الحكومية موظّفيها على الخروج فيها، بمناسبات الحزب والدولة وتجديد «البيعة». أما موظّفو القطّاع الخاص وأصحاب المحالّ الصغيرة، الذين يملكون هامشاً أكبر من الحريّة من نظرائهم في القطّاع العام؛ فقد أدّوا حصّتهم من تعظيم الأسد بتعليق صوره في أمكنةٍ بارزةٍ من مكاتبهم أو محالّهم، بشكلٍ يصبح فيه الكلّ مشاركاً في هذا التقديس ومستهلكاً يوميّاً له.

وفي الحقيقة، لم يكن مطلوباً من الناس أن يصدّقوا رواية تقديس الحاكم، ولكنهم مطالبون بالتظاهر كما لو أنّهم يصدّقونها. فالأسد ليس هو «الصيدلي الأول» بأي معنى حرفيٍّ ذي دلالة. لكن الأسد قويٌّ لأن نظامه قادرٌ على إكراه الناس على أن يكرّروا ما يثير السخرية ويجاهروا بما لا يقبله العقل. إن ظاهرة تقديس الأسد، حتى عندما لا تكون مُصدّقة، هي آلية قوية للتحكّم.

من المعروف عموماً، أن وزير إعلام الأسد في أعوام (1974 ـ 1983)، أحمد إسكندر أحمد، هو مخترع ومهندس ظاهرة تعظيم رئيسه، في نشرات الأخبار وافتتاحيات الصحف. لكن خطاب التقديس تنوّع بوجود متزلّفين متنافسين، فظهرت الأغاني المتلاحقة، وانتشرت التماثيل، ثم شاعت الكتب التي تسجّل إنجازات «بطل التشرينين»، والتي لا يمكن اعتبارها سيرةً ذاتيّة، بل إنشاءً مبتذلاً مفرط الثناء في «فكر القائد ونضاله». ورغم أن هذه الكتب قلّما توجد في المكتبات التجاريّة، إلا أنها شكّلت استثماراً مربحاً لمن قام بها، لأن كل دوائر الدولة ومدارسها مطلوبٌ منها شراء نسخ منها.

ولكن، من جهةٍ أخرى، تشير شعبيّة الهجاء السياسي، والنكات المعارضة للأسد، إلى أن السوريين الذين لم يتحدّوا النظام بشكلٍ مباشر، قد قاوموه بالسخرية. كما يشهد الرواج الذي حظِيَ به كلٌ من مسلسل «مرايا» التلفزيوني السنويّ لياسر العظمة، ورسومات علي فرزات الكاريكاتيرية، وأفلام سينمائيةٍ مثل «نجوم النهار» لأسامة محمّد؛ إلى التمكّن من إدراك الظروف المشتركة لعدم التصديق. فمشاهدة الآخرين يطيعون في الحياة اليومية تجعل كلّ شخصٍ يشعر بأنه معزول، بينما يؤشّر التوافق على هذه الأعمال، التي تسخر من الخطاب الرسمي، على إيمان الجميع بحقيقةٍ تعاكس ما أجبروا عليه. لم يُخدع أحدٌ بهذه التمثيلية الكبرى من التكاذب الجماعي إذاً!

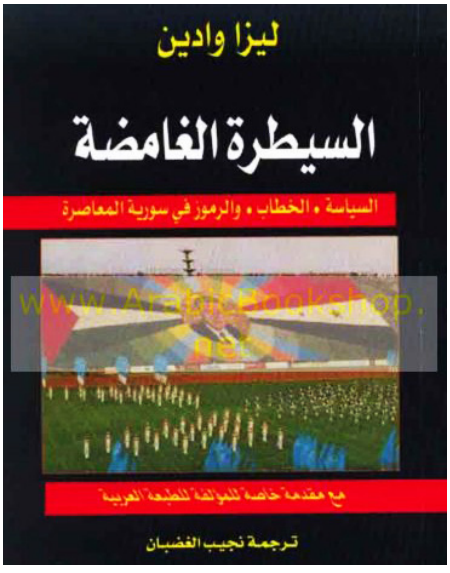

(ترجمة د. نجيب الغضبان. بيروت؛ لندن: رياض الريّس للكتب والنشر، 2010)

تقرير مجموعة الأزمات عن الصراع في سورية

هاني شمعون

مجموعة الأزمات الدولية منظمة مستقلة، مقرها الرئيسي في بروكسل، وتضم موظفين في خمس قارات، يعملون من خلال التحليل الميداني، داخل أو بالقرب من الدول التي يوجد فيها خطر اندلاع أو تصاعد أو تكرار حدوث صراع عنيف، على إعداد تقارير تحليلية تتضمن توصيات عملية. ويعمل مجلس مجموعة الأزمات. الذي يضم شخصيات بارزة في مجالات السياسة والدبلوماسية والأعمال والإعلام . على إيصال هذه التقارير والتوصيات إلى كبار صناع السياسات في العالم، وحشد الدعم على المستويات العليا والحكومات والإعلام، من أجل إبراز تحليلاتها وتأييد توصياتها. يرأس مجموعة الأزمات نائبُ وزير الخارجية الأميركية الأسبق، توماس بيكيرينغ. ومديرتها التنفيذية هي لويز آربر، الرئيسة السابقة للمفوضية العليا لشؤون اللاجئين التابعة للأمم المتحدة. وموقع المجموعة هو: www.crisisgroup.org

وعلى هذه الموقع مجموعة من التقارير عن سوريا منذ اندلاع الثورة، صدر آخرها في حزيران الفائت، بعنوان «انتشار ورم الصراع في سورية».

وفيه ترصد المجموعة أن ما كان عند نقطة معينة صراعاً سورياً ذا تداعيات إقليمية أصبح حرباً إقليمية مركزها سورية. فيما يبدو أن الحل الأمثل، بتسوية دبلوماسية تفاوضية، ينتمي، في المرحلة الحالية، إلى عالم الخيال. كما ينبغي التخلي عن فكرة أنه تحت الضغوط المتنامية، فإن هيكلية السلطة ستتحول ضد نفسها، من خلال انقلاب عسكري أو انشقاق شخصيات هامة. فالنظام رزمة متكاملة، لا يمكن فصل الأجزاء المقبولة فيه عن الأجزاء التي يصعب القبول بها دون تهديم الصرح بأكمله. أما أن يقوم الغرب بترجيح كفة الميزان العسكري بشكل حاسم، وهذا ما يستطيع فعله بالتأكيد، رغم أن ذلك يمكن أن يتحقق فقط بتدخل أوسع نطاقاً مما يتم التفكير به حالياً أو مما يمكن القبول به سياسياً، فحتى في تلك الحالة، فإنه من غير الواضح ما إذا كان ذلك سيؤدي إلى "هزيمة" النظام، أو أنه سيحوّله إلى سلسلة من الميليشيات المدعومة خارجياً.

يعتقد النظام أن الصراع سينتهي فقط باستسلام أعدائه الخارجيين والداخليين الذين ينبغي أن يقبلوا بتصوره هو للصفقة. ويتطلب تحقيق ذلك رفع تكاليف المواجهة إلى مستويات تجعل الانخراط فيها غير مجدٍ. ومن وجهة نظره، يتحمل أولئك الذين يتحدّون الوضع القائم المسؤولية عن الأضرار الهائلة والمعاناة التي فرضت على البلاد؛ وأن هدفهم الجوهري ليس "الحرية" ولا "الديمقراطية" بل تدمير سورية. ولدى النظام قواعد موالية له؛ والبعض الذي كان حيادياً في مرحلة ما، نظراً لمعرفته بالفظاعات التي ارتكبها الأسد، لكن الذين أرعبهم السجل البائس لحكم المعارضة وميولها الطائفية المتزايدة، صاروا يتغاضون عن هذه الفظاعات، ويميلون نحو نظام يزعم بأنه يقاتل نيابة عن شريحة واسعة من مواطنيه.

فيما يتجمّع خصوم النظام في تركيبة تعددية ومنقسمة بعمق، وهيكلياتهم متغيرة، وداعموهم الخارجيون أقل ثباتاً وتنسيقاً فيما بينهم. ورغم ذلك، فإن المعارضة اكتسبت كتلة حرجة من الدعم وتبدو صامدة إلى حدٍ كبير ومنيعة جزئياً على تقلبات أدائها. وتتكون القواعد المكوِّنة لها من الشرائح المسحوقة الكبيرة التي تعرضت لأشكالٍ مفرطة من عنف النظام بحيث أنها لا تستطيع التراجع.

وفي المناطق الواقعة تحت سيطرة المعارضة، لا ترقى الأشكال المرتجلة، والتي لا تحظى بالموارد اللازمة للحكم، حتى إلى معايير أداء مؤسسات الدولة التي كانت متدنية تقليدياً. وبالنسبة للكثيرين فإن بقايا الدولة أفضل من لا شيء. ولكن النظام نفسه قد تحوّل، بتساهله مع السلوك المشين لعناصره، والترويج للطائفية، وتدمير مدن بأكملها، وتهجير الملايين، من شيء قريب إلى الدولة إلى شيء يشبه ميليشيا كبيرة. بينما تبدو المعارضة المتقلّبة في المنفى، تتصارع على حصةٍ من سلطةٍ لم تحصل عليها بعد.

يمكن للنظام والمعارضة أن يكونا قويين على بعض الجبهات، وضعيفين على جبهات أخرى. لقد مرّ كلاهما بعمليات رصّ صفوفٍ وتعزيز قوى، ويتمتعان بقدرٍ كافٍ من الدعم المحلي والأجنبي، بحيث يستطيعان الاستمرار. ولكن الحرب ربما تكون قد اقتربت من ذروتها، في غياب أي تدخّلٍ خارجي، فقد استعمل النظام معظم أنظمة الأسلحة التي يملكها؛ ولا يزال باستطاعته التصعيد، لكن بطرقٍ من غير المرجح أن تحقق فرقاً كبيراً. ويبدو أن قاعدته الاجتماعية وصلت أيضاً إلى أقصى حدودها، كما انعكس في الصعوبات التي يواجهها في استدعاء مجندين جدد.

سوريا القادمة... التي سيبنيها الجميع... الجميع

يوسف عبد الأحد

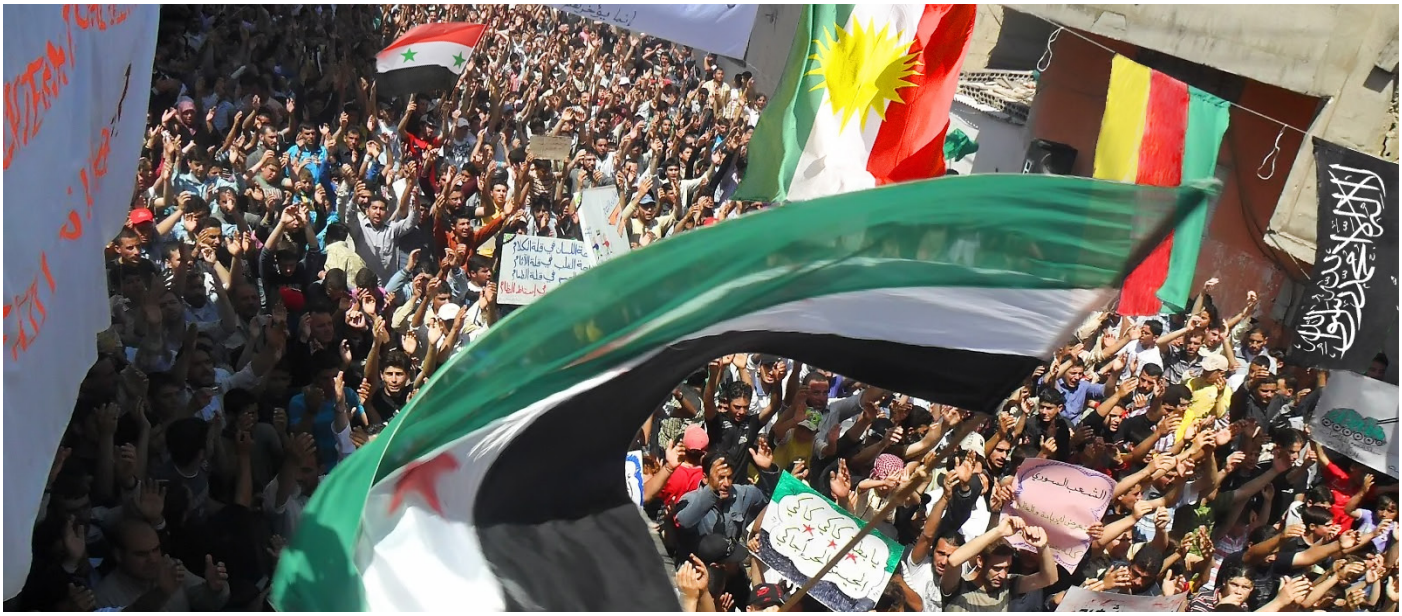

كولاج | جون | خاص عين المدينة

رغم كل ما نراه الآن، لم تتشكّل معالم سوريا الجديدة بعد. ويرجع ذلك إلى أسباب لا مجال للاستفاضة فيها هنا، ولكننا سنتناول على وجه التحديد الفرق بين «مجتمع الثورة» وعموم السوريين؛ فالأول مكوَّنٌ من البيئات الثائرة، وناشطيها، وتعبيراتها المدنيّة والسياسيّة... إلخ. أما الثاني فهو أوسع من ذلك بالطبع، حتى لو رغب بعضنا بتجاهل ذلك مرحلياً. فوفق المعيار الجغرافي المعروف الذي حدّد «السوريين» عمّن سواهم، ونعني بذلك الحدود المعتمدة للدولة منذ الاستقلال؛ تُضاف إلى جمهور الثورة قطاعاتٌ واسعةٌ من المتردّدين في تأييدها، والمتخوّفين من نتائجها، بل وأعدائها الحاليين، الذين لم يتورّطوا في سفك الدماء بالتأكيد. ولكلّ هؤلاء الحقُّ في المشاركة في تحديد صيغة سوريا المستقبل.

ومن هنا، فإن الأصوات الأعلى حالياً، في وسائل الإعلام و«على الأرض»، كما يحلو القول، ليست الصوت النهائي في المستقبل، كما يطيب لأصحابها أن يتصوّروا، ولأعدائهم أن يهوّلوا في فوبيات متنوّعة، أبرزها فوبيا القاعدة والإسلام المتشدّد بالطبع.

وإذا كانت الطباع والميول البدئية للمجتمعات التي احتضنت الثورة، قد أسهمت في بروز أجزاء من هذه النوازع. ضمن أسباب أخرى. فإن لمجتمعاتِ التلكؤ أو التشكيك أو الخصومة ميولاً مغايرة بشكلٍ واضح. وطالما أن أحداً لن يستطيع أن «يبيد» هؤلاء، كما تصرّح أصواتٌ نزقةٌ مألوفةُ الوجود خلال النزاعات الدمويّة، فإن من الجيّد والضروريّ التفكير بالأرضيّات المشتركة التي ينبغي أن تشاد عليها الدولة من جديد، وتُستعاد لحمة المجتمع على صعيدٍ وطنيٍ متكامل.

وربما كان من المفيد هنا التذكير بأن هذه الكتل السكانيّة . والانتخابية، بالمناسبة . لا تقتصر فقط على أبناء الأقليّات الطائفية، وخاصةً العلويين، الذين لا يشكّلون رقماً سهلاً بالطبع، بل تضمّ شرائح واسعة من أبناء المدن الكبرى، وشرائح أضيق من أبناء المناطق الثائرة نفسها، الذين لم يوافقوا أهليهم على التيّار السائد بينهم حالياً، فضلاً عن معظم الأكراد، الذين لا يبدو الخطاب الحالي للثورة ملبيّاً لتطلّعاتهم، ولا نقصد الصعيد القومي هنا، بل مسائل من نوع شكل الدولة ودستورها ومصادر القوانين الناظمة لها، وما إلى ذلك من قضايا.

وإذا كان الصوت المدنيّ في الثورة قد صار الأضعف حالياً، نتيجة إحجام من ذكرنا عن المشاركة فيها؛ فإن سبب تقويته في الدولة المفترضة هو انخراطهم في بنائها بفاعليّة. وبمقدار ما يتأخّر وعيهم بأن دولة الأسد زائلة، وأن التفكير المجدي للمستقبل هو أخذ مكانهم الطبيعي في خريطة ما بعده، بدل الاستمرار في الانكفاء والتشكيك؛ بقدر ما سيُترك المجالُ للآخرين ليقرّروا مسائل الدولة الكبرى، التي ليست محلّ اتفاق، بل و«يعيّنوا» ممثّلين عن هذه الكتل الطائفيّة أو المناطقيّة أو الاجتماعيّة، على هواهم، وفاءً شكلياً لمتطلبات تمثيل عموم السوريّين، وسيراً على نهج ما أرسى الأسد الأب من مخاتلةٍ في التعيينات والمناصب، لتزيين الوجه الطائفي القبيح لنظامه.

وإذا كان مبدأ «التثقيل الثوري» قد طُبِّقَ عند تشكيل بعض المجالس الثوريّة، أو المحليّة، فهو مبدأٌ مشروطٌ بالثورة ومتطلباتها العسكريّة والطبّية والإغاثيّة والتعليميّة. ومن غير المقبول سحبُه على الدولة، وقيامها على أساسه. من المفهوم أن من دفع الثمن الأكبر في سبيل حريّة عموم السوريّين سيتمتّع بالصدقيّة الأعلى، والجماهيريّة الأوسع، ولكن هذا يجب أن لا يعني استبدال ظلمٍ باستئثارٍ، واستئصالٍ بإقصاء.

وما دامت أفكار الدويلات مجرّد أحلام يقظة مشوّشة، لأنها لا تجد سنداً جدّياً من معطيات الجغرافيا والسكّان والموارد الطبيعيّة، فإن «قدرنا» هو العيش معاً ضمن الحدود الجغرافيّة للكيان القائم، مختلفين في المذاهب والرؤى. ولا يمكن بناء بلدٍ مستقرٍ من جديدٍ دون إدارةٍ متوازنةٍ وعادلةٍ لهذا التعدّد. وهذا ما يجب أن نعِيه جميعاً، بدءاً من صقور الثورة، ووصولاً إلى «فلول» النظام المحتضر.

العدالة الانتقالية

المفهوم.. والتجارب.. والحاجة

المحامي رامي أسعد

يقول هيغل: سوف يظلّ البحث عن الحقيقة يوقظ حماسة الإنسان ونشاطه، ما بقي فيه عرقٌ ينبض وروحٌ تشعر.. فما بالك حين تبحث الضحية عن الحقيقة.. لعل ذلك يختزل فكرة العدالة الانتقالية ومجال اختصاصها ونطاق عملها.

تعرَّف العدالة الانتقالية بأنها مجموعة الأساليب والآليات التي يستخدمها مجتمعٌ ما لتحقيق العدالة في فترةٍ انتقاليةٍ من تاريخه، تنشأ غالباً بعد اندلاع ثورةٍ أو انتهاء حربٍ، يترتب عليها انتهاء حقبةٍ من الحكم السلطوي القمعي داخل البلاد، والمرور بمرحلة انتقالية نحو تحوّل ديمقراطي. وخلالها تواجه المجتمع إشكاليةٌ هامةٌ جداً، وهي التعامل مع قضايا انتهاكات حقوق الإنسان، سواء أكانت حقوقاً جسدية أم سياسية أو اقتصادية.

يرجع البعض بدايات مفهوم العدالة الانتقالية وتطبيقاتها إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، في محاكمات نورمبرج في ألمانيا، وهي من أشهر المحاكمات التي شهدها التاريخ المعاصر، والتي قُدِّم إليها مجرمو الحرب من القيادة النازية.

ثم كانت البداية الحقيقية لمحاكمات حقوق الإنسان في اليونان في أواسط السبعينيات من القرن الماضي. وبعدها في المتابعات للحكم العسكري في الأرجنتين وتشيلي، من خلال لجنتي تقصي الحقائق في الأرجنتين 1983 وتشيلي 1990.

ثم جاءت تجربة دولة جنوب أفريقيا من خلال لجنة الحقيقة والمصالحة الشهيرة في 1995، التي تشكلت للتعامل مع قضايا الانتهاكات الجسيمة التي تعرض لها السكان السود في ذلك البلد في فترة التمييز العنصري الطويل.

بالإضافة إلى التجربة الخاصة جداً التي شهدتها المغرب، حين قام ملكها الراحل، الحسن الثاني، بإجراءات التحول وتسليم الحكم إلى المعارضة في عام 1995، والتي أفضت إلى إنشاء هيئة الإنصاف والمصالحة لتقصي الحقائق، واختتمت أعمالها بدفع تعويضات للضحايا، والعمل على إصلاح وتأهيل عدد غير قليل من المؤسسات، في عام 2005. وبهذا تكون المغرب صاحبة تجربة فريدة في التعامل مع العدالة الانتقالية، تمّت من داخل النظام نفسه، ولم تُنفَّذ عقب انتهاء حرب أهلية أو ثورة.

وترتكز العدالة الانتقالية إلى مبرراتٍ منطقيةٍ، وأبرزها:

- تقوية الديمقراطية: يعتبر العديد من الأشخاص أن الديمقراطية لا يمكن بناؤها على أساس أكاذيب، وأن جهوداً مستمرة ومنظمة وتوافقية لمواجهة الماضي يمكن أن تؤدي إلى ديمقراطية أكثر قوة. ويتم ذلك بشكل كبير من خلال إرساء المحاسبة وعدم الإفلات من العقاب.

- الواجب الأخلاقي في مواجهة الماضي: يرى نشطاء حقوق الإنسان والضحايا وآخرون بأن ثمّة واجباً أخلاقياً في التذكّر، لقبول الضحايا والاعتراف بهم. كما أن نسيان الضحايا والناجين من الفظائع يعتبر شكلاً من أشكال إعادة الإحساس بالظلم والإهانة. ويمكن أن يكون البديل هو ثورات الذاكرة، حين يغلي الغضب وعدم الرضا تحت سطح الحياة السياسية، وبالتالي ينفلتان من وقت لآخر.

إن تحقيق العدالة الانتقالية هو السبيل الوحيد الذي يضمن إنصاف الضحايا وضمان عدم تكرار الجرائم والانتهاكات، ويفتح الطريق لتحقيق المصالحة الوطنية بعد المحاسبة، التي بدونها تظلّ البلاد عرضةً لمزيد من إراقة الدماء، والتي سيقف وراءها الانتقام بكل تأكيد، ويقوّض حالة السلم الأهلي الضرورية لبناء أي دولةٍ حديثة.

لقد تراكمت انتهاكات حقوق الإنسان في سورية من مراحل مختلفة، ابتداءً من سنوات الخوف في الثمانينات، التي ارتبطت بعددٍ من أشدّ هذه الانتهاكات وأخطرها، كما ترافقت مع سوء استخدام وتجيير النظام القضائي، مما أفقده استقلاليته تماماً، كما ترافقت مع عمليات القتل العشوائي واتساع حوادث الاختفاء القسري. حتى قيام الثورة السورية مطلع العام 2011 التي اعتمد فيها النظام ذات الأساليب (دفاتره القديمة) بشكل أشدّ.

وهذا ما يشكّل تحدياً كبيراً أمام السوريين لضمان معاقبة الجناة المسؤولين عن ارتكاب هذا الجرائم الفظيعة، وضمان عدم إفلاتهم من العقاب والمحاسبة..

سورية في حاجةٍ إلى تأسيس جديدٍ قائم على الشرعية الدستورية المؤسساتية، وتجاوز إرث الماضي الثقيل، عبر مجموعة من الإجراءات تؤسس للمصالحة الوطنية عبر العدالة الانتقالية..

معاذ الخطيب.. يمكنك استخدام الفيسبوك في نشر صور الأصدقاء أو لعب المزرعة السعيدة

كريم بلّول

"أعترف بجهلي : هل يمكن لأحدٍ أن يدلّني على علماني وطني وحيادي في المعارضة السورية". هكذا، ومن جديد، ينشر معاذ الخطيب جملة واحدة على صفحته الشخصية على موقع التواصل الاجتماعي فيس بوك، لتثير ضدّه حملةً خاصةً من المعارضين العلمانيين، فيعود الشيخ الفاضل من جديد إلى حيز التداول الفيسبوكي والنقاشات الحادّة التي قد ترميه جانباً مقابل فتح موضوع المعارض العلماني كموضوع نقاش ساخن.

Mouaz Kh Al Hasani
اعترف بجهلي : هل يمكن لأحد أن يدلني على علماني وطني وحيادي في المعارضة السورية .
أعجبني · تعليق · المشاركة · 25 يوليو عبر الهاتف المحمول:
1,144 أشخاص معجبون بهذا.
154 مشاركات
شاهد التعليقات السابقة 48 من 513

يستطيع الرئيس السابق للائتلاف، وبسرعة خاطفة، جذب الأنظار نحوه. ومن الواضح أن كتاباته لا تخضع حتى "لتبييت استخارة" قبل نشرها. فيصبح هو بحد ذاته شخصية متداولة، رغم أنه فقد كرسي الائتلاف، الذي كان وجوده يقدمه كشخصية قيادية قادرة على جذب الأنظار بقوة.

صفحته على الفيس بوك هي الضامن الوحيد لاستمرار حضوره القوي، فهو يستطيع نشر مبادرةٍ لحلّ الأزمة السورية اليوم، ويستطيع تشكيل حزب غداً، ويمكنه مهاجمة العلمانيين صباحاً والإسلاميين مساءً، يمكنه نشر مقاطع غنائية صوفية، وراب... والجمهور لابد سيشارك ما ينشر خطيبه المفوّه. وتبدأ المعارك ثانيةً، فيحضر الشيخ الجليل من جديد، ويغطي حتى على زيارات رئيس الائتلاف المتتالية نحو عواصم الغرب.

يمكن للخطيب أن يثير الموجة ذاتها إذا نشر صور أصدقائه أو صوره الخاصة، أو إذا لعب بلعبة المزرعة السعيدة أو سواها، أو حتى إن أعجب بمقالٍ معيّن... فحركات الخطيب على صفحته هي بحدّ ذاتها قضية... صفحته باتت مؤسسة تحشد الرأي العام وتقود ساحات حروب افتراضية بعيداً عن الائتلاف الذي لم يستطع تقديم الخطيب إلا كشخصية جامدة.

سورية الأجزاء الملونة

تتفنّن الصحف والمواقع الإلكترونية، وحتى الصفحات الفردية على الفيس بوك، بتقسيم سورية إلى دويلات. لكل طرفٍ الحق في محّ الألوان ومزجها وتوسيع دولة على حساب دولة وفق وجهة نظره. يمكنك بسهولة، كمواطن سوري، رسم الخريطة كما تشاء، ونشر الألوان بالجهة التي تفضلها.

يمكن للدولة الكردية أن تتوسّع لتصل إلى تخوم دير الزور، بفعل أن ريشة الفنان أحبّت أن تعطي الخريطة شكلاً سيريالياً، وتنثر الدول فوق الجغرافيا الواحدة بطريقة معبّرة عن الفوضى والعشوائية. بينما يتوجه فنانو المدرسة التكعيبية نحو تحديد الزوايا والفواصل المستقيمة والمثلثات، فتكون الدولة الإسلامية في الشمال والشرق على شكل مثلث تفقد معه البادية. بينما تبدو دولة النظام في الساحل والمنطقة الوسطى بطريق مستقيمة، مع قليلٍ من التعرجات ليكسب فيها البحر.

بعض الفنانين يفضل سورية متداخلة. لنجد وسط دولة النظام نقطة بلونٍ مختلفٍ، تابعة لدولة الجيش الحر. وضمن دولة الأكراد حروفاً عربية متناثرة ذات مدلول فني عن اختلاط الثقافات في المنطقة الواحدة.

الوحشيون وحدهم من يستطيع أن يرسم خريطة مثيرة بالألوان، لنرى لون دولة النظام أصفر قاتماً، مقابل دولة المعارضة بالأزرق الفاتح، والدولة الكردية باللون البني....

من الأرشيف البصري لمؤسسة بصمة

الوحشيون هكذا يرفضون تنميط الألوان وفقاً لأعلام التوجهات السياسية.

الجغرافيون يركزون حديثهم حول المساحات والحدود والمعابر.

الاقتصاديون يبتكرون موارد جديدة لبناء تلك الدول الصغيرة لوجستياً

المؤرّخون يدرسون النزعات الانفصالية القديمة التي أدّت إلى هذه الخريطة.

الرئيس الأسد يهنئ الشعب المصري الشقيق بانتصاره على نظام الإخوان المسلمين.

لا أحد يتمنّى الموت لجورج وسّوف

ماذا لو استجاب بشار الأسد لرغبات مجاميع الشبيحة بإصدار طابع خاص يحمل صورة المغنّي جورج وسوف، تقديراً. كما يبرّر هؤلاء. لمواقفه الوطنية الثابتة، ودعمه "لقائد الوطن"؟ هل سيستقرّ الوسّوف حينها على الكرسي الذي سعى طويلاً للجلوس عليه، بخراقةٍ واستهتارٍ متناهيين، وهو كرسي الشبّيح؟

فمنذ بداية الثورة ظهر وسّوف مراتٍ عدةً على وسائل الإعلام، يحضّ على الوقوف مع الرئيس والجيش و"سوريا الجميلة". ويدعو في كل مرّةٍ (وهو يبذل جهوداً كبيرة في الكلام ويتعتع فيه) إلى الحبّ. فهو يحبّنا جميعاً، نحن السوريين، ويحبّ سوريا وقائدها. ويطلب من الذين يحبّونه، والذين لا يحبّونه أيضاً، أن يحبّوا سوريا ويحافظوا عليها. ولطالما لم يحمل أحدٌ سلطان الطرب على محمل الجدّ حين يتحدّث في السياسة أو الوطن، على طريقة أن كلامه فيهما "لا بيقدّم... ولا يأخّر"، ولكن للتغاضي حدوداً كما للصبر، وقد بات من غير المقبول لشخص بشهرة أبو وديع أن يحافظ على غرامه السوقي والمعلن ببشار وجيشه، دون أن يبلغه "الخبر" أن قلب رئيسه المزعوم من "حجر"، وكم لوّع من بشر، بالقتل والترويع والقصف هذه المرة، لا بمجرد الخداع والتحايل و"الشكر بكر". ومن المخجل أن يكون قدَر السوريين هو كون بعض بارزي فنّانيهم على هذا القدر من فقدان قيمة الحياة والكرامة الإنسانيتين، اللتين ينتهكهما الرئيس الأخرق يومياً، فيما يغنّي الصوت الأجشّ لأبي حافظ! دون أن يشعر أنه "كده كفاية"، فقد ولغ رئيسه كثيراً في "التجريح" الفعلي، لا العاطفي، وتعدّى حدود منصبه منذ زمن، في أيّام "صعبة شوية"، بل كثيراً، ونريد لها أنْ تمرّ بسرعة، وأن يستبين للسلطان المزعوم أن "طبيبه الجرّاح" قد رأى في نفسه سلطاناً حقيقياً، يملك البلاد والعباد. وبذلك لم تعد "الدنيا بخير"، ولا سوريا بخير، بعد أن أصبحت قصة مأساتها يوميّة وحقيقيّة، و"لسّة الميغ بيطير"!!

ولعلّ سبب تشوّش رؤية الفنان السوري الأصل، (الذي يعيش في لبنان، ويغنّي باللهجة المصرية)، هو نظرته إلى الوطنيّة بطريقة تبدو فيها نوعاً من التبعيّة والاستزلام لمعلّم يجب أن يقدّم الآخرون أنفسهم فداءً له، وحباً فيه. بشكل يشعر معه المشاهد لوسّوف بأن هذا الحبَّ هو بيدرٌ عملاقٌ من الحشيش، يجب على السوريين الغاضبين تحويله إلى ملايين اللفافات المخدّرة، والاستماع لحفلةٍ من حفلات سلطان الطرب، الذي قال مرةً **إن سوريا بلد أمنٍ وأمان، وبلدٌ فيه بهجة، وبهجتنا هو رئيسنا**. وما علينا، إن أشكل علينا أمرٌ من أمور الدنيا، إلا الإصغاء إلى خطاب الأخير في مجلس الشعب، في 30 آذار 2011، يوم ضحك 26 مرةً ليمنح نفسه ومستمعيه إحساس "البهجة" بقرب نهاية الأزمة.

تربط بشار الأسد بجورج وسّوف علاقة حميمة، كما يبدو من الصورة التي نشرها موقع المطرب الإلكتروني، ويظهر فيها الرجلان مبتسمين، بعد زيارةٍ قام بها وسّوف لشكر بشار على الرعاية الكبيرة والاهتمام الشديد اللذين أولاهما له أثناء الوعكة الخطيرة التي كادت تودي بحياته نتيجة جلطة دماغية. هناك سؤال طريف لا بد أن يسأل: هل كان وسّوف المطرب المفضل لبشار؟ وإن كان الجواب لا، فسيصبح السؤال: هل يوجد لشخص ثرثارٍ مثل بشار الأسد مطربٌ مفضّل؟ والجواب هنا، وبحسب علم النفس: لا، لأن الطرب يحتاج إلى استماع. وهذا ما لا يستطيع الثرثار فعله.

سؤالٌ آخر: ماذا لو مرّت سيارة وسّوف بحاجزٍ للجيش الحر؟ هل سيحيّي وسّوف الثوار بنفس العبارة البذيئة التي حيّى بها جنود الأسد الذين تسابقوا على التقاط الصور معه؟

اقتراح ثوري: بعد سقوط الأسد وإلقاء القبض على جورج وسوف بتهمة التشبيح والتحريض على القتل، يجب أن يبرّئه القاضي من هذه التهمة بعذرٍ مخففٍ هو وقوعه في حالة سكرٍ استمرّت لعقود. ولا بد أيضاً أن يلقي القاضي به، وحرصاً عليه، في مصحٍّ إجباريٍّ، ولكن على نفقته الخاصّة.

الأمين العام المساعد لحزب الأسد العربي الاشتراكي... في كوريا الشمالية

لعبد الله الأحمر، المولود في مدينة التل، الثائرة والمنكوبة الآن في ريف دمشق، سنة 1936، ستة أولاد ذكور، هم (جهاد، كفاح، نضال، ثائر، أمجد، إياد). وتكفي دلالات هذه الأسماء للإشارة إلى التطوّر الفكري للرفيق الأمين المساعد، ذلك الرجل العتيق من أثاث حزب البعث السوري في نسخته الأسدية، والذي أفاق أخيراً من سباتٍ عميق، وذهب في زيارةٍ إلى كوريا الشمالية. ولعل هذا البلد هو الهدف المناسب، والوحيد، لزيارةٍ خارجيةٍ يقوم بها الأحمر، وخاصةً مع الذكرى الستين للهدنة التي أنهت الحرب بين الكوريتين سنة 1953، وما يرافقها عادةً من احتفالاتٍ باعتبارها ذكرى ليوم النصر. وفي التفاصيل القليلة الراشحة عن هذه الزيارة قدّم الأحمر للزعيم الكوري الناشئ، كيم جونغ أون، هديةً مرسلةً من بشار الأسد، وهي سيفٌ دمشقيٌ. وأثنى الدكتاتور، الذي لم يتجاوز الثلاثين من عمره بعد، على ضيفه السوري، كونه نال شرف لقاء جدّه الدكتاتور الكبير كيم إيل سونغ، مؤسس جمهورية القمع الرهيبة هذه. ومن جانب آخر، تناولت بعض وسائل إعلام الشبيحة خبر هذه الزيارة بتفاؤلٍ كبيرٍ، فتساءل محرر الأخبار في موقع دام برس، الذي تديره شعبة المخابرات العامة:

ما سرّ زيارة وفدٍ سوري إلى كوريا الشمالية، ولماذا جنّ جنون واشنطن؟

وفي ثنايا الخبر، خاطب المحرّر قرائه بالقول: كوريا الديمقراطية لديها صواريخ يبلغ مداها آلاف الكيلومترات، والآن كوريا تملك التقنية اللازمة لتركيب رؤوس نووية على هذه الصواريخ. نظرياً لا يوجد شيء يمنع كوريا الديمقراطية من تزويد سورية بمثل تلك الصواريخ. تخيلوا إن وصلت إلى سورية صواريخ نووية يبلغ مداها آلاف الكيلومترات. هذا يعني نظرياً أن سورية ستصبح قادرةً على ضرب معظم العالم الغربي بصواريخ نووية.

ويبدو أن الشبيح الذي يطلق على نفسه اسم الفيلسوف الأسدي يمتلك نظرة أبعد من الموقع الاخباري المذكور، إذ تساءل على صفحته على موقع التواصل فيسبوك:

معقول القيادة ما لقت غير الأحمر تبعتو لزيارة مهمة متل هي؟

شو ما بقى عنا مسؤولين، لو موفرين مصاريف هالسفرة ومعطينها لاولاد الشهدا بزمتي كان أحسن.....

في كلام الفيلسوف الأسدي وجهة نظر، فشيخوخة الأحمر وانغماسه الطويل في الفساد الرغيد، لا بد أن تكون قد أنسته الكثير، بما فيها المنطلقات النظرية للبعث. وربما، أيضاً، عدد مزارع الدجاج التي يديرها كلٌ من أولاده الستة.

مجلة عين المدينة | نصف شهرية سياسية متنوعة مستقلة

- لا تعبر المقالات المنشورة بالضرورة عن رأي المجلة.
- ترحب المجلة بمساهماتكم غير المنشورة سابقاً.

فيس بوك facebook.com/3aynAlmadina
تويتر twiter.com/3aynAlmadina
www.3ayn-almadina.com | info@3ayn-almadina.com

على شطّ الفرات تهيم... موجات الأمل

عدسة كرم دير الزور